مقرر تحليل النصوص **الفرقة الرابعة عام**

عنوان المحاضرة

نونية ابن زيدون١

عناصر المحاضرة

- **التعريف بالنص وصاحبه**
- **قراءة أولية للنص**
- **أسئلة استرشادية:**

التعريف بالنص وصاحبه

نونية ابن زيدون هي قصيدة شعرية كتبها الشاعر الأندلسي أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، المكنى بأبي الوليد والمشهور بابن زيدون، **وتعد هذه القصيدة من أشهر قصائده، بل ومن أشهر قصائد الفراق التي قيلت في تاريخ الشعر العربي،** وقد نسج الشعراء اللاحقون على منوالها، وفيها يذوب أسى وألما على فراق ولادة بنت المستكفي حبيبته وعشيقته، ويحترق شوقا إليها وإلى الأوقات الصافية الممتعة التي أتيحت له معها

وقد نافس ابن زيدون في حب ولادة "أبو عبد الله بن القلاسي" و"أبو عامر بن عبدوس" ، وقد هجاهما بقصائد لاذعة فانسحب ابن القلاسي ولكن ابن عبدوس غالى في التودد إليها ، وأرسل لها برسالة يستميلها إليه فلما علم ابن زيدون كتب إليه رسالة على لسان ولادة وهي المعروفة بالرسالة الهزلية التي سخر منه فيها ، وجعله أضحوكة على كل لسان ، وهو ما أثار حفيظته على ابن زيدون ، فصرف جهده إلى تأليب الأمير عليه حتى سجنه ، وأصبح الطريق خالياً أمام ابن عبدوس ليسترد مودة ولادة ، وفشلت توسلات ابن زيدون ورسائله في استعطاف الأمير، حتى تمكن من الفرار من سجنه إلى أشبيلية، وكتب إلى ولادة قصيدته النونية الشهيرة التي مطلعها

أضحي التَنائي بَديلاً مِن تَدانِينا وَنابَ عَن طِيْبِ لُقيانا تَجافِينا

أما ابن زيدون فهو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي المشهور بابن زيدون، ولد بقرطبة سنة / ٣٩٤هـ ١٠٠٣م، في خلافة هشام بن الحكم، أبوه فقيه من سلالة بني مخزوم القرشيين. وجده صاحب الأحكام الوزير أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم. كان ابن زيدون زعيم الفئة القرطبية، نشأ في بيئة مثقفة، وكان والده من وجهاء قرطبة وأغنيائها وفقهائها، فأحضر له الأدباء والمربين، فتثقف ثقافة عالية، ونظم الشعر باكرا.

كان مقربا من أبي الحزم بن جهور، ثم دفعت به الدسائس إلى السجن، ولما لم تجده قصائد الاعتذار فر من سجنه ثم اتصل بأبي الوليد بن جهور، الذي تسلم الحكم بعد موت أبيه، فجعله وزيره وسفيره لدى الملوك، علّه يتسلى عن حبه بالأسفار، ولكن السفر زاد من حبه، فعاد إلى قرطبة. ثم اتصل بالمعتضد بن عباد أمير أشبيلية، وابنه المعتمد، وبقي معه بقرطبة حتى اضطربت الأحوال في أشبيلية، فأرسل المعتمد ولده الحاجب وابن زيدون لتهدئتها، وكان شاعرنا مريضا فاشتدت عليه وطأة الحمى وتوفي في اشبيلية ودفن فيها سنة / ٤٦٣هـ . ١٠٧٠م

كان يكلف بولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري، الخليفة الأموي، وكانت من الأدب والظرف، وتتييم المسمع والطرف. وشاعرة مجيدة مغنية، جعلت مجلسها ملتقى الشعراء وأهل الأدب.

- **قراءة أولية للنص**

الأبيات ١-٧

يعد البيت الأول من تلك القصيدة من أحسن المطالع الملائمة لها في معناها ومبناها ومرماها، حيث جمع بين التنائي وجعله بإزاء التداني، وبطيب اللقيا ووضعه بإزاء التجافي وبذلك لخص الشاعر في البيت فكرة القصيدة العامة تلخيصا ذكيا، حيث رسم فيه صورة جلية لما كان عليه حاله مع محبوبته قبلا، من التصافي والتلاقي والتلاحم الروحي الحميم، كما نشر فيه ما صار إليه حالهما بعدا، من التباعد والتجافي والشقاق الأليم

ثم تتلاحق المعاني الأليمة في البيت التالي حيث يتمنى الشاعر نزول الهلاك بهما-إذ صار ما بينهما إلى ذلك الحد الفاجع من التباعد والهجر الأليم بعد ظهور أمارات الخصام والتجافي الشديد-ويقول ليت الأمر قد كان كذلك، فإنه كان أهون.

ثم يستفهم الشاعر في ظاهر البيت التالي عمن يحمل رسالته إلى من سببوا له الحزن الدائم، الذي لا يبلى فلا يبلى بالتالي صاحبه وغرضه ليس الاستفهام وإنما إظهار التحسر لفوات ذلك الزمن الجميل، الذي كان يسعدهم قبلا،

ثم ها هو الزمان نفسه أخذ منهم موقف الضد، وانقلب عليهم فصار يبكيهم ويقسو. وقد تصرف الشاعر في تركيب مبناه وترتيب ألفاظه بما ينشر جوانب معناه كما عاناها الشاعر وتشكلت في نفسه، فصاغ المبلغ المتمنى اسما ولم يقل «من يبلغ؟»، وكأنه يبحث عن قائم به نادبا له أبدا، فقال: «من مبلغ...؟» في صياغة استفهامية يبث فيها الشاعر ألمه وحسرته، وهذه صيغة دوارة على ألسنة الشعراء العرب، يعبئونها مما يتفاعل في نفوسهم حينما يستحكم

ثم يأتي التوكيد على وقوف الزمان من الشاعر موقف المعاند الضاغط القاسي صريحا مقصودا ثم يكشف الشاعر عن دواعي القطيعة وأسباب الجفاء، ويعرج في البيتين التاليين على أسوأ أسباب التجافي ودوافع الحزن الذي ألبسوه ثم يأتي البيت التالي أيضا متكاثف الصور البيانية قويها بليغ التراكيب رصينها يرى ما كان في نفسه من معان متخللة عقدا وثيقة وأربطة متينة

الأبيات ٨-١٩

يفتتح ابن زيدون هذا المقطع يتبرأ مما قد تظنه فيه من تهم يقول إنني ذاهل، غير متمالك الحس والإدراك من شدة صنيعكم أحبابي قبلي، حيث إننا لم نمتثل لعتب أعاديكم، ولم نزل عتابهم إيانا بتنفيذ رغبتهم بجرحكم وإيذائكم، فهل يروقكم ويسعدكم أن تزيلوا أنتم عتاب أعادينا إياكم بتنفيذكم رغبتهم في جرحنا وإيذائنا وإنزال الحزن بنا

وينتقل الشاعر في البيت التالي إلى تقرير وفائه لأحبته وعدم تنكره لهم برغم إبعادهم، وتأكيد أن وفاءه لهم صار عقيدة يعتقدها، ودينا يتقلده وجزاء يوفيه ثم ينكر الشاعر على الأحبة- بتلطف وترفق-الإصغاء للأعداء، ويعاتبهم في إتاحتهم للحاقدين أجواء السرور والشماتة ثم يأتي البيت التالي كاشفا عن قوة تأثير تلك الذكريات لولادة في نفس ابن زيدون ثم ترتفع نبرة الأسى، ويشتد لهيب الفراق في البيت التالي يقول إنه بأن وفارق أحبته، وإنهم كذلك بانوا وفارقوه، فترتب على ذلك جفاف حياته والتهاب جوانحه اشتياقا إليهم، في حين أن مآقيه لم تجف ودموعه لم تنقطع

ولا يزال الشاعر يبعث برسائل استمالة آمله إلى ولادة ويقرر الشاعر أن علقته بالأحبة روحية دفينة، وأن اللسان لم يعد وسيلة التناجي والتواصل، وإنما هو الضمير المستكن والروح الكامنة، ثم يقدم الشاعر للأسباب المباشرة النزول عليه من الأسى الفاتك به والهلاك المحدق يقول الشاعر: إن أيامهم تحولت ولياليهم تبدلت عن طبائعها، ثم يعدد الشاعر مظاهر تلك السعادة الغامرة لمناحي حياته أيام الوصال فيذكر طلاقة العيش ووفرة الخير والعز، وصفاء الحياة.

ويذكر الشاعر في البيت التالي من مظاهر السعادة تلك، إذ يصور الشاعر نيله وتلذذه بنعيم الحب وقطاف العشق وجنيه إياها بالهصر، فحق للشاعر أن يتحول إلى الدعاء لعهد الأحبة الذي كان نعمة وسرورا بالسقيا والحياة، ويختتم الشاعر هذا المقطع المعاتب للأحبة بقسم صريح على صدقه فيما بثه وأخبر عنه من إخلاص لهم، إخلاص تجلت مظاهره فيما باح به من آلام وتشك وود باق ومنتظر آمل في عودة المحبوبة إلى سابق وصلها

الأبيات ٢٠-٣٣

هذا المقطع هو لب القصيدة وعمادها، وبه سميت القصيدة غزلية، أبدع الشاعر فيه وصف ولادة كما رآها وأحبها أيما إبداع، وطوف بالمتلقي في رياض نعيمها المتراحب، ونشر أريج حبهما في سماوات الفن الجميل، فأرانا حورية من حواري الدنيا النوادر

يستنفر الشاعر الطبيعة، وينادي المطر في سحابه «يا ساري البرق» ويطلب إليه أن يباكر ديار

الحبيبة وقصرها الذي يحتضنها، وأن يسقيه القطر، لا يزال الشاعر في البيت التالي يستنفر قوى الطبيعة ويلتمس إليها أن تعينه على تجاوز محنته، ثم يصف الشاعر منبت حبيبته، ويخبر بأنها نبتت في بيت عز وملك، بحيث إنها كالمتفردة في صفاتها وحسنها، فلا تشبهها بنات جنسها، بل لا يشبهها الخلق جميعا «الورى»، ثم ينقلنا الشاعر في وصف ولادة إلى صورة الفضة المضروبة ورقا، متوجا بالذهب الخالص، ثم يرى الشاعر أن هذا الحبيب من الجمال بحيث إنه كان يرتضع أنوار الشمس، حيث كانت تميل إليه وتنعطف عليه في خبائه وكلته، في حين أنه ما تبدى ولا ظهر للشمس إلا نادرا، ويعتذر بأن ذلك الفرق لا يضر مع الوصال، لأنه يمنحها من المودة ما يعوض نقص التكافؤ بينهما، ويبلغ الشوق بالشاعر مبلغا ينطقه بندائها مباشرة: يا حديقة غناء بالخير، ويرى الشاعر أن حبيبته "حياة" من شأنها أن تحيي، وينادي أيضا نداء استعطاف، ثم ينادي الشاعر المحبوبة للمرة الثالثة في الأبيات على التوالي إلحاحا على الاستمالة، ويراها الشاعر «نعيما» عظيما، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، فيلخص القضية ويرفعها إلى أرفع درجات النعمة على عشيرها، ثم يلفت الشاعر بصراحة إلى ما كان يغلفه فيما سبق من معنى التبجيل والتوقير لمحبوبته، إذ كان يخاطبها بضمير جماعة المخاطبين «أنتم» ثم يعلل لذلك الإجلال والإكرام-اللذين يبدو أن الشاعر مبالغ فيهما-فيؤكد أن قدر الحبيبة معلوم للجميع، مما ينفي تهمة التجوز والمبالغة فيصرح بأن للمحبوبة قدرا معتليا يغنيه عن ذكر اسمها صريحا، لأنها في هذا الصدد متفردة لا تشارك، ولا يلتبس وصفها ولا ذكرها بغيرها، فهو يترك تسميتها اكتفاء بشهرتها وتميزها، أمنا من التباس غيرها بها

- **خلاصة:**

أوقفنا الشاعر ابن زيدون في قصيدته على تفاصيل حبه بما فيه من جمال و وصال قبلا، و ما حدث بينه و بين ولادة من فراق و جفاء بعدا، جراء فعل الوشاة، حيث أمسى التباعد بديلا من التقارب ، و حل الجفاء مكان اللقاء ، و قد استهل الشاعر قصيدته بالفعل أضحى الذي يشير إلى مضمون القصيدة القائم على تبدل الحالة بين الطرفين ، مشيرا إلى أن الدهر قد استجاب لدعوة أعدائه و حقق لهم ما أرادوا من قطع العلاقة بينهما. و بعد ذلك يبدأ الشاعر بوصفه لحال الحاضر المؤلم و استدعاء الماضي الجميل ومعايشته بكل تفاصيله ، متحدثا عن وفائه للحبيبة و ما أصابه من حزن و آلام نتيجة البعد و الفراق، ثم يواصل وصف الصورة الحزينة التي يعيش فيها آملا في اللقاء مجددا. و بعد ذلك ، يلتفت الشاعر إلى الحاضر الحزين و يقر بأن أيامه قد غدت سودا بعدما كانت لياليه بيضا بوجودها ، فتبدلت حاله و أظلمت دنياه لغيابها.يواصل الشاعر نأيه و يكشف عن آلامه و نفسيته الحزينة و الحنين إلى العهد الماضي وجمال الحياة فيه ، مقرا بأن الفراق لم يغير من مشاعره ، و لم ينسيه ما كان يحمله من حب لها، بل زاده البعد وفاءا و إخلاصا فما زالت آماله حية في لقائها مجددا. انتقل الشاعر بعد ذلك إلى مناجاة عناصر الطبيعة و تشخيصها ، مخاطبا البرق والنسيم ، مستعينا بها لتشاركه في أحزانه و حمل عبئه و تخفيف آلامه ، و الوقوف بجانبه. بعد هذه التخالفية الزمنية في استدعاء الماضي من خلال معايشته بكل تفاصيله والالتفات إلى الحاضر الحزين بالنأي و العتاب ، و مناجاة عناصر الطبيعة و تشخيصها ، ينتقل الشاعر إلى عنصر آخر و هو التغزل العفيف بولادة ، حيث شبه رفاهيتها و تربيتها بتربية الملوك ، و صفتها و رائحتها بالمسك الطيب ، و أن الله قد صاغها من الفضة وزينها بالذهب تحسينا ، و أن الشمس قد أرضعتها نورها و جمالها . و استكمالا لغزله ،شبهها بالكواكب جمالا ، فهي الحياة و النعيم التي يتمتع بشبابها وذلك ليس إكبارا لقدرها و إكراما لشخصيتها ، و إنما ذلك لقدرها العالي.

- **أسئلة استرشادية:**

اكتب عشرة أبيات تلي هذا البيت مع الشرح والتحليل وإعطاء فكرة عامة تجمعها:

يا ساري البرق غاد القصر واسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا

اكتب عشرة أبيات تلي هذا البيت مع الشرح والتحليل وإعطاء فكرة عامة تجمعها:

أضحي التَنائي بَديلاً مِن تَدانِينا وَنابَ عَن طِيْبِ لُقيانا تَجافِينا